Print ISSN: 2008 - 7217
Online ISSN: 2383 - 2681
Journal of Arabic Language & Literature
www.jall.um.ac.ir

Journal of Arabic Language & Literature, Vol. 16, No.3 Serial Number. 38

The significance of climatic beginnings in the collection "Flowers and Myths" by Badr Shakir al-Sayyab

Doi: 10.22067/jallv16.i3. 2406-1428

Abdulaziz Hamadi[1]
Assistant Professor in the Department of Arabic language and literature, Payam Noor University, Tehran, Iran

Naser Zare
Assistant Professor, department of Arabic language and literature, Persian Gulf University, Bushehr, Iran

Rasoul Balavi
Professor of Arabic Language and Literature, shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran

Received:29 August 2024 ▌Received in revised form: 17 November 2024 ▌Accepted: 7 January 2025

Abstract

Poetic beginnings are a starting point for entering the text and are considered one of the most important elements in poetry, forming the cornerstone for the structure of the poem. Since the early literary era, preludes have held significant importance for Arab poets, especially in the pre-Islamic period, with poetry's preludes often based on standing upon ruins and lyrics. In the Abbasid era, preludes and lyrics continued to be important. In contemporary Arabic poetry, however, the beginnings have evolved according to the ideas of poets. The introduction of the four seasons of the year in contemporary poetry is, therefore, a prominent phenomenon.

Badr Shākir al-Sayyab is a poet deeply influenced by the nature of his surroundings. He draws inspiration from palm trees, rivers, springs, plains, gardens, and the four seasons, expressing these elements indefinitely in his poetry. The poet has a season that begins in harmony with his spirit. This study aims to explore how the poet begins each of his poems with a reference to a season or an element of nature. This research is based on a descriptive-analytical method, and it will analyze the poetic beginnings in al-Sayyab's "Flowers and Myths", examining how the poet employs these beginnings and their connection to the poet's moods.One of the most important results of this study is that most of the motifs in "Flowers and Myths" begin with direct or indirect seasonal preludes, and these preludes are fully contextualized within the themes of the poems. It is found that the seasons in the poems are appropriate to both natural and spiritual implications, serving as a symbolic code pointing to the underlying meanings of the text.

Keywords: Poetic-beginning, Seasons, Badr Shākir al-Sayyab, Flowers and Myths.

[1] . Corresponding Author. Email: abedalaziz@pnu.ac.ir

اللّغة العربية وآدابها (الفصلية العلمية المحكمة)
www.jall.um.ac.ir
الترقيم الدولي الموحد للطباعة: 7217 – 2008
الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: 2681 – 2383

اللّغة العربية وآدابها، السنة السادسة عشرة، العدد ٣ (الرقم المسلسل ٣٨)، خريف ١٤٤٦، صص: ١١٠-٩٢

دلالة الاستهلالات المناخيّة في ديوان "أزهار وأساطير" لبدر شاكر السيّاب

(المقالة المحكمة)

عبدالعزيز حمادي (أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة پيام نور، طهران، إيران،الكاتب المسؤول)[1]
ناصر زارع (أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خليج فارس، بوشهر، إيران)
رسول بلاوي (أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران)

Doi: 10.22067/jallv16.i3. 2406-1428

الملخّص

تُعَدُّ دراسة الاستهلال الشعري مدخلاً أساسياً لفهم البنية الدلالية والنفسية للنص الأدبي، لا سيما في الشعر الحديث الذي اتخذ من الرمزية والطقوسية أداةً لتجسيد الرؤى الإبداعية. تنبع أهميّة هذا البحث من كونه يُسلِّط الضوء على البُعد الجمالي والوظيفي للاستهلالات المناخية في شعر بدر شاكر السياب، والتي لم تحظَ بدراسة معمقة تربط بين تشكيلها الرمزي والحالة النفسية للشاعر وانعكاسها على مضمون القصيدة، مما يُسهم في سد ثغرة بحثية في حقل الدراسات النقدية العربية المعاصرة. كما تهدف الدراسة إلى تحليل الدلالات الرمزية للاستهلالات المناخية في ديوان "أزهار وأساطير"، وكشف العلاقة العضوية بين اختيار المناخ (كالفصول والظواهر الجوية) والحالة النفسية المتقلبة للسياب، فضلاً عن دور هذه الاستهلالات في توجيه المتلقي نحو استيعاب الرؤية الشعرية للنص. اعتمد البحث المنهج الوصفي-التحليلي في تتبُّع الأنماط الاستهلالية في الديوان، وربطها بالسياق النفسي والموضوعي للقصائد. ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث أنّ السياب وظف المناخ كـ"شيفرة دلالية" تُحيل إلى مضامين النص بشكل غير مباشر، حيث اتخذ من الخريف رمزا لليأس والجفاف الروحي، ومن الربيع إيحاءً بالانبعاث والأمل، مما يُؤسس لـ"لغة مناخية" ذات بعد وجودي. تكشف الاستهلالات عن حوار خفي بين المناخ الخارجي والداخل النفسي للشاعر، مما يجعلها جزءاً عضوياً من بنية القصيدة لا مجرد مدخل زخرفي. كذلك أعاد السياب تشكيل الوظيفة التقليدية للاستهلال الجاهلي (الوقوف على الأطلال) في صيغة حديثة تعتمد الانزياح الرمزي، مما يقدّم نموذجاً لتطوّر البنية الاستهلالية في الشعر العربي المعاصر. تتمثل أهمية هذه النتائج في كشفها عن آليات توظيف الرمز المناخي كأداةٍ جماليةٍ وفكريةٍ تُميِّز شعر السياب، وتُقدِّم منظوراً جديداً لقراءة العلاقة بين الشكل والمضمون في الشعر الحديث.

الكلمات الدليلية: الدلالة، الاستهلالات المناخية، بدر شاكر السيّاب، "أزهار وأساطير".

تاريخ الوصول: ١٤٠٣/٦/٨ تاريخ المراجعة: ١٤٠٣/٨/٢٧ تاريخ القبول:١٤٠٣/١٠/١٨

[1]. الكاتب المسؤول: abedalaziz@pnu.ac.ir

١. المقدمة

إنَّ المستهل هو العنصر الأساسي لبناء أي قصيدة، فيُعَدُّ العتبة الرئيسة في مفتتح القصيدة ومن خلاله تأخذ القصيدة مجراها ودلالاتها؛ فنجد بدر شاكر السياب في الكمّ الأكبر من قصائده يتَّخِذ استهلالاته في بُنية واحدة وهي بُنية الاستهلال بفصول السنة والمناخات المختلفة؛ وهذا يعكس ما تأثّر به السيّاب من البيئة التي عاش فيها، فهو ابن الريف الذي لمس جميع محتويات وعناصر الفصول والمناخات المختلفة، لأنَّهُ يعيش في هذه البيئة القرويّة التي لا تبعدهُ عنها أيّة حواجز من الحياة المدنيّة وضوضائها وكبتها؛ فأثَّرت هذه الطبيعة الريفيّة بفصولها ومناخاتها بمخيلته الشعريّة، وباتت تظهر وتتجلّى في جميع أشعاره، وكما نرى نفسياته تتقلب بتقلّب الفصول، فمثلاً عندما يستهلُّ قصيدته بالخريف نجد القصيدة متماسكة من مطلعها حتّى ختامها بنفس النكهة الخريفيّة، فنرى الكآبة والتشاؤم المبعوثين من الجوِّ الخريفي متأرجحين في طيّات الأسطر والأبيات، ولذلك تكون الوحدة العضويّة للقصيدة متماسكة من حيث المضمون والدلالة المناخيّة.

يهدف هذا البحث إلى دراسة الدور البنيوي والدلالي للاستهلالات المناخية في ديوان "أزهار وأساطير" لبدر شاكر السيّاب، انطلاقًا من إشكالية تتمثَّل في ندرة الدراسات التي تحلِّل توظيف الفصول والظواهر المناخية كعتبات نصية تُشكِّل هوية القصيدة وتعكس تفاعل الشاعر مع بيئته الريفية، حيث تُبرِز الضرورة هنا أهمية الكشف عن الخصوصية الجغرافية والنفسية لسيّاب التي حوَّلَتْ عناصر الطبيعة إلى رموز تعبِّر عن تقلُّباته الوجدانية، كما يسعى البحث إلى تحليل العلاقة التكامليّة بين العنوان والاستهلال المناخي في تشكيل الوحدة العضوية للنص، وتتبُّع العناصر المباشرة (كالفصول) وغير المباشرة (كالضباب والمطر) لتأكيد أنَّ المناخ ليس مجرد إطار وصفي، بل لغةٌ شعريّةٌ تُعبِّر عن رؤية الشاعر الوجودية، مما يُقدِّم منظورًا نقديًا جديدًا لفهم شعرية السيّاب وإثراء الدراسات الأدبية المعنية بالتفاعل بين الذات والبيئة في الشعر العربي الحديث.

سنفتح نافذة حول العنوان في هذا البحث لكون العنوان هو العتبة الأولى لمباشرة القصيدة وأوّل عنصر من عناصر الاستهلال، فيلزم دراستهُ من حيث المناخ، لأنَّنا وجدنا الكثير من العناوين التي تدلُّ على المناخ ظاهرةً في قصائد السيّاب بصورة مباشرة وغير مباشرة، فقد اختار عناوينهُ متناسبة مع نوع المناخ الذي تعيشهُ القصيدة، إذ تتجلّى دلالة العنوان المناخيّة في هيكلة القصيدة من بدايتها إلى نهايتها حسب العنصر الذي تَكَوَّنَ منه العنوان.

سنتطرق في هذا البحث إلى العناصر التي تدلُّ على المناخ بشكل مباشر، مثل الربيع، والصيف، والخريف، والشتاء والعناصر غير المباشرة التي تدلُّ على أحد الفصول، وكذلك العناصر التي تتعلّق بهذه الفصول مثل الريح، والضباب، والسراب، والمطر، والثلج لنكشف جميع الدلالات المناخيّة المتواجدة في ديوان "أزهار وأساطير".

١.١. أسئلة البحث

نحاول في هذا البحث أن نجيب عن السؤالين التاليين:

- كيف تسهم الاستهلالات المناخية في ديوان "أزهار وأساطير" لبدر شاكر السيّاب في تشكيل الاتجاه الموضوعي والعاطفي للقصائد؟

- ما الدلالات الرمزية المرتبطة بالفصول والظواهر المناخية في استهلالات قصائد السيّاب، وكيف تعكس حالاته النفسية؟

٢.١. فرضيات البحث

يَفترض هذا البحث أنَّ الاستهلالات المناخية في ديوان "أزهار وأساطير" لبدر شاكر السيّاب تسهم بشكل جوهري في تشكيل البُعدين الموضوعي (من خلال ربط الظواهر الطبيعية بقضايا الوجود والموت والتحولات الحضارية) والعاطفي

(باستثارة مشاعر الحزن أو الشوق أو التمرّد لدى المتلقي)، كما تعكس هذه الاستهلالات -عبر دلالاتها الرمزية المرتبطة بالفصول والظواهر الجوية، حالات السياب النفسية كاليأس والألم والأمل في مراحله الشخصية المختلفة، وتنبني هذه الفرضية على تمثُّل المناخ كإطار رمزيٍّ موجّهٍ لمعنى القصيدة، ووحدة جمالية تعكس رؤية الشاعر الفلسفية للعلاقة بين الإنسان والكون، مع إمكانية توظيفه لمفردات المناخ التقليدية بشكل مُغاير لدلالاتها التراثية لتعبِّر عن أزمته الذاتية في المنفى والمرض، وفي مقابل ذلك، تُطرح فرضية بديلة تُرجِع وظيفة هذه الاستهلالات إلى تهيئة الجو العاطفي فقط دون تأثير في البنية الموضوعية، أو تستمد رموزها من الموروث الأسطوري دون ارتباط مباشر بحالة الشاعر النفسية.

٣.١. خلفية البحث

إنَّ الاستهلال وعلاقاته بالعنوان موضوع مهم تناوله النُّقّاد قديماً وحديثاً، لأنّ مطلع القصيدة وعنوانها يوصلاننا إلى كنه النصّ وكشف عوالمه المستورة. ومع ذلك، قلّما نجد بحثاً حول استهلال المناخ في النصوص الشعرية الحديثة، وما كُتِبَ في هذا المجال لا يتجاوز إشارات عابرة في بعض البحوث.

وبالنسبة لخلفية البحث نذكر هذه الدراسات أنموذجاً:

كَتَب الكاتب ياسين النصير (٢٠٠٩) كتاباً بعنوان «الاستهلال: فن البدايات في النص الأدبي» الصادر عن دار نينوى بدمشق، والذي تناول من خلال هذا الكتاب موضوع الاستهلال في الشعر والسرد وتطرق لأنواع العنوان وعلاقاتها بفن الاستهلال.

كَتَبَت الباحثة معيض عبدالكريم البندري (١٤٣٤) دراسة عنوانها «الاستهلال في شعر غازي القصيبي»، وهي رسالة ماجستير في الأدب والنقد قدّمتها إلى كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى (مكة المكرمة). وقد اشتملت الدراسة على مقدمة وتمهيد عن موضوع الاستهلال في شعر غازي القصيبي، تلاهما فصلان: خصّصت الباحثة أولهما لعلاقة العنوان بالاستهلال الشعري، بينما تناول الفصل الثاني الأصول الدلالية التي يقوم عليها الاستهلال، مثل التناسب والعلاقات الرابطة بين عناصره وبنية النص.

كتب الباحث شعلال رشيد (٢٠١١) بحثاً بعنوان «شعرية الاستهلال عند عبد الله البردوني» ونُشِرَ في مجلة كلية الآداب واللغات في جامعة قالمة الجزائر؛ وتطرّق الباحث في هذا المقال إلى النمط الاستفهامي، والنمط الندائي، والنمط الحكائي أو التمثيلي في استهلالات قصائد البردوني.

قيس خزاعل وآخرون (٢٠١٩) كتبوا دراسة بعنوان «دلالة العنوان وبنية الاستهلال في شعر بدر شاكر السياب، ديوان "شناشيل ابنة الشلبي" أنموذجاً» ونُشر هذا البحث في مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد ٥١، لقد تطرق الباحثون في هذا البحث إلى أنواع الاستهلالات وارتكزت المحاور على العنوان بشكلٍ أكبر إلا أنّه في نهاية البحث جاءت بعض النماذج والدراسة حول الاستهلال بالطقوس.

وخلال بحثنا لشعر بدر شاكر السياب لم نر دراسة شاملة تبحث الاستهلال المناخي في نصوصه؛ لهذا سيكون بحثنا فريداً من نوعه.

٢. تعريف الاستهلال

وجدنا من الضروري أن نضعَ في بداية البحث تعريفاً للاستهلال لكي نوضح ما نرمي إليه من هذا البحث مبيّنين الجانب الأنسب لدراستنا حسب تعاريف النقّاد الشهيرة حول هذا المصطلح الأدبي، فيأتي ابن منظور في كتابه لسان العرب حول تسمية الاستهلال لغةً قائلاً: «هلَّ المطرُ هلاً، وانهلَّ المطر انهلالاً، واستهلّ المطرُ وهو شدّة انصبابه، واستهلت السماءُ في أول

المطر، والاسم الهلال، واستهل الصبيّ بالبكاء، أي رفع صوته وصاح عند الولادة، وكلّ شيء رفع صوته فقد استهلَّ» (ابن منظور، ١٤١٤، ج١١: مادة هلَّ)، ويرى النُّقّاد أنّ الاستهلال هو فن البيان وبراعة من الشاعر ليلقي فكرته على المتلقّي بأحسن صورة، كما يعرف الاستهلال بالافتتاحية و«بدء الكلام ويناظره في الشعر المطلع، وفي فن العزف على الناي، الافتتاحية، فتلك كلّها بدايات كأنّها تفتح السبيل إلى ما يتلوه» (أرسطو، ١٩٨٠: ٣٤). ويرى الرازي أنّ الاستهلال هو بداية كلّ أمر، فيقول: «أن يبتدئ الشاعر في أوّل شعره، والكاتب في أوّل رسالته، بلفظ بديع مصنوع، ومعنى لطيف مطبوع، ويحترز من كلمات يُتَطَيّرُ بها أو يكون فيها ركاكة، فإنَّ المطلع أوّل ما يقرع السمع» (الرازي، ٢٠٠٥: ١٥٤)، وكذلك يرى ابن رشيق القيرواني أنَّ «الشعر قفلٌ أوّله مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجوِّدَ ابتداء شعره، فإنَّه أوّل ما يقرع السمع منه، وبه يستدلُّ على ما عنده من أوّل وهلة» (القيرواني، ٢٠٠١، ج ١: ٢٢٥).

يحاول الشاعر من خلال الاستهلال أن يرتبط بالمتلقّي في بادئ الأمر، فـ«للدخول إلى عالم النص، يجب للقارئ أن يجتاز بعض الحدود، نسميه بالعتبات النصية» (قرباني مادواني، ٢٠٢٣: ٤٠)، والاستهلال في الاصطلاح هو «تأليف مخصوص للمقدمات بصيغ وتراكيب تتفرد على نحو من الإثارة الواصلة بين المرسل والمتلقّي» (رشيد، ٢٠١١: ٢)، ولا ننسى أنّ العنوان والمطلع هما العتبتان الأولى والثانية في كلّ نصّ، شعراً كان أم نثراً، لذلك تناول النقّاد دراستهما بجديّة، «فالعنوان هو بمثابة القصيدة مصغّرة وأحياناً يلعب دور الخلاصة لما يريد قوله الشاعر ضمن القصيدة كاملة» (خزاعل، ٢٠١٩: ٤٤)، وبنية العنوان في البحوث الحديثة تحمل أهميّة خاصّة بالنسبة للعناصر الأخرى للقصيدة «بوصفها أوّل مثير أسلوبي تصطدم به عينُ المتلقّي، ولكونه عنصراً فاعلاً في بنية القصيدة الحديثة» (المرسومي، ٢٠١٥م: ص ١٥٩). ولا ننسى أنّ الاستهلال كالخيط الأوّل الذي تنتظم حوله بقية الخيوط، كما تقول الباحثة معيض: «هو أوّل الخيوط الناظمة للقصيدة قالباً ومضموناً» (الذيابي، ١٤٣٤: ١٨).

ولقد أراد النقّاد للاستهلال وظيفة لكي تتماسك مع النمط البلاغي،كما نجد أنَّ «للاستهلال شطراً كان أم وحدة، وظيفتين أساسيتين؛ الأولى هي جلبُ انتباه القارئ أو السامع أو المشاهد وشدّهُ إلى الموضوع، والثانية هي التلميح عمّا يحتويه النصُّ بأيسر ما يمكن من الكلمات (خزاعل وآخرون، ٢٠١٩: ٤٤-٤٨).

وما سنتناولهُ في هذا البحث هي الاستهلالات التي تدلّنا على طقسٍ معيّن، معتمدين على اعتبار العنوان ومطلع القصيدة بيتاً كان أم مقطعاً، هو الاستهلال نفسه، معوّلين على الدلالات الناتجة من استخدامه في قصائد السيّاب.

٣. الدلالات الفصليّة ومناخها

الفصول بمختلف مناخاتها لها أجواء خاصّة تعتري الإنسان وتُشعِرُه بحالات نفسيّة موافقة لطبيعة الفصل، وإذا كان هذا الإنسان شاعراً ستنهمر مشاعره في قصائده متأثراً بتلك النفسيّات الناتجة من تحوّلِ الفصول. ومن هنا نجد بعض الشعراء يفتتحون قصائدهم باستهلالات مناخيّة، وهي «نوع من البناء الشعري اللطيف حيث يؤسّس الشاعر قصيدته على ألفاظ وتعابير تشير بشكل مباشر أو غير مباشر للظواهر الطبيعية ولاسيما الموسمية منها كالشتاء والرياح والأنواء والأمطار، والرعود، والبروق، والثلوج، وما شابه ذلك من ألفاظ ودوال تدور في الدائرة الدلالية المناخية، لينطلق الشاعر بعدها إلى غرضه وغايته فيكمل هيكل القصيدة ويعبّر عمّا يريد بسلاسة ويُسر» (المصدر نفسه: ٥٢)، ونشهد المناخات متدفقةً في قصائد السيّاب، حيث يستخدم الفصول الأربعة في قصائده بنفسيات مختلفة كلٌّ منها تعبّر عمّا يعتريه من إحساس ينطبق على تلك الفصول. وقد استهل السياب ٢٣ قصيدة من بين ٢٩ قصيدة في ديوان "أزهار وأساطير" بالمناخ.

١.٣. دلالة الربيع

للربيع، بما فيه من إشارات ودلالات، موقعٌ خصبٌ في شعر السياب، حيث يأخذ هذا الفصل مكانةً رئيسيةً في تشكيل الصور الشعرية وتوليد الرؤى الفكرية والفنية، حيث إنَّ حضور الربيع في قصائد السياب ليس مجرد وصف طبيعي، بل هو يحمل دلالاتٍ عميقة تتجاوز المستوى السطحي إلى آفاق أرحب من الدلالات، كما يُعتبر «فصل الخصب والتواصل مع الأرض، وموعداً للخروج من عزلة الشتاء والانطلاق إلى رحاب الطبيعة» (الأحمد، ٢٠١١: ٩٨)، لذا فالاستهلال به يدعو إلى التفاؤل والخصب والتجدد، باعتباره نهضةً للطبيعة بعد فصل الشتاء، وهذا ما يتناغم مع انتعاش الذات الشاعرة وتطلعها نحو غدٍ أفضل، كما أنَّ هذا الانبعاث الربيعي يتشابك مع الرموز الشعرية للخلق والبعث، فيصبح الربيع مرآة تعكس حالة الشاعر الروحية والوجودية.

اختار السيّاب هذا الفصل في بعض قصائده التي يترنّم بها بالأمل والحيوية، متأثراً بجوّه بدلالة تحمل المتلقي إلى النفسية الربيعية الإيجابية، فمثلاً نجده في قصيدة "عبير" من ديوان "أزهار وأساطير" يقول:

عطَّرتِ أحلامي بهذا الشذى من شـــعرِكِ المسترســـلِ الأســـودِ

الجـوُّ مـن حـولي ربيـعٌ حبـا مِـن خـدرِهِ النـائي إلى الموعـدِ

(السياب، ٢٠١٧: ٥١)

من عنوان القصيدة "عبير" نشهد الإشارات الواضحة للربيع والرائحة الزكية، فمن خلالها يعكس الشاعر مشاعر الحب والأمل والتفاؤل والخصب، ويحاول في هذين البيتين الإفصاح عن مشاعره تجاه حبيبته واستشراف لقائهما القادم، فالأوصاف المركزة على شعر الحبيبة المسترسل والعطر المنبعث منه تخلق جواً ربيعياً مفعماً بالأمل والحياة، كما أنّ الإشارة إلى "الموعد" الذي ينتظره الشاعر تعزز هذا الإحساس بالانتظار والترقب لهذا اللقاء المنشود، ويتجلى هذا الحس في قوله "الجوُّ من حَولي ربيعٌ حبا"، فالربيع هنا رمز للخصب والعاطفة المنبعثة، وقد قام الشاعر بتصوير مشاعره الداخلية وأحاسيسه تجاه الحبيبة بطريقة موحية وجمالية، مما أعطى العبارات توافقاً وانسجاماً من البداية إلى النهاية. وبعد ذلك يأتي بما يلائم الربيع في البيتين التاليين من القصيدة، فيقول هنا:

هـذا عبيـرُ الحـبِّ فجّرتـه يبحـثُ عـن مجـرى لـه في غـدِ

نبـعٌ أثـيريُّ الخُطـى حـالمٌ باالظـــةِ الخضـــراء والمســـندِ

(المصدر نفسه: ٥١).

نجد الحسَّ الربيعيَّ لايزال متجليّاً في القصيدة من خلال هذين البيتين، فالصور الشعرية التي يرسمها الشاعر هنا تفيض بدلالات الربيع وما يحمله من معاني الخصب والنماء والتجدد، فعبير الحب الذي يبحث عن مجرى له في الغد، يوحي بانبعاث مشاعر الحب والأمل في النفس البشرية مع قدوم الربيع، كما أنَّ وصف النبع الأثيري الحالم بالظلة الخضراء والمسند، يستحضر صور الطبيعة الربيعية الخصبة والجميلة التي تبعث على التفاؤل والسرور، فهذه الصور الشعرية تتناغم بشكل عميق مع الإشارات والدلالات الربيعية التي طرحها الشاعر في مطلع قصيدته، فالربيع بما يحمله من معاني الحياة والنماء ما زال حاضراً في مضمون القصيدة وفي الرؤية الشعرية للسياب، وبذلك يؤكد الشاعر على العلاقة الوثيقة بين الربيع وبين مكونات التجربة الشعرية من صور وأخيلة وإيحاءات دلالية.

لم يبقَ الاستهلال بالربيع مبيّناً للإحساس بالتفاؤل والأمل عند السياب في جميع قصائده التي استهلها بالربيع بل نجده مستهلاً بهذا الفصل لغاية أخرى وهي الوداع، ففي قصيدته "في أخريات الربيع" من نفس الديوان يقول:

يا ضـياء الحقـولِ يا غنـوةَ الفـ ـلاحِ في الساجياتِ من أسحارِهْ

أقبلـي، فـالربيعُ مـا زالَ في الـوا دي فبُلّي صـداكِ قبلَ احتضارِه

(المصدر نفسه: ٩٣).

يدعو السيّاب حبيبته إلى اللقاء هذه المرّة في أخريات الربيع حيث أشرف على الانتهاء، فيختلف الاستهلال بالربيع في هذه القصيدة عمّا رأيناه في السابق، لأنّ الشاعر في حالة يأس من مجيء حبيبته، فهي الفرصة الأخيرة الموجودة أمامه للقاء مستدلاً باحتضار الربيع وموته القريب، فوجود الربيع هنا ليس من بواعث الأمل، بل يتراوح بين الأمل الضئيل واليأس الطافح، فبالرغم من أنّه يغريها بمغريات الربيع، لكنّه لم يجد استجابةً منها، فلهذا السبب نراه في الأبيات الأخرى يبثُّ الحس التشاؤمي والحزن والكآبة بالرغم من استهلاله بفصل التفاؤل وهو الربيع، فيقول:

في المسـاءِ الكئيـب، والمعـبرُ المهْـ ـجورُ والعابسـاتُ مـن أحجـارِه

مُصـغياتٌ، تكـادُ مـن شـدّةِ الإصـ ـغـاءِ أن تُـوهِمَ المـدى بانفجـارِه

(المصدر نفسه: ٩٣).

المساء الكئيب والهجر والعبوس، كلّ هذه المفردات من بواعث التشاؤم واليأس وتتنافى مع الربيع، غير أنّه استخدم هذه الألفاظ وهذا الجوّ الكئيب بدلالة صائبة، لأنّ الموقف يحتاج إلى توظيف هذه النفسية الخريفية البائسة، وعدم الوصول إلى الحبيبة لا يولّد لها إلّا حالة من اليأس، وهذا ما دعاه إلى أن يوافق بين العناصر التشاؤمية والموقف المستلخص من القصيدة.

٢.٣. دلالة الصيف

معظم القصائد التي كتبها بدر شاكر السياب في ديوان "أزهار وأساطير" حسب ملاحظتنا إلى تاريخ الكتابة جاءت في فصلي الخريف والشتاء ونظراً إلى حياة السيّاب الكئيبة جاءت قصائدهُ محملةً بكآبة الخريف وتشاؤم الشتاء، وهناك بعض القصائد جاءت ربيعيةً، لهذا السبب لم يحظَ فصل الصيف في هذا الديوان بمستهلات صيفيّة، إلا البعض من عناصر الصيف تمّت دراستها في محور العناصر المناخية والعناصر غير المباشرة، لأنَّ الإشارات والعلامات المختصة بهذا الفصل قد استخدمها الشاعر بصورة غير مباشرة.

٣.٣. دلالة الخريف

يُعرَف فصل الخريف بحزنه وكآبته، فالبرد والريح والأمطار والرعود، كلّ هذه العناصر الخريفية تُشعِرُ الإنسان بشيءٍ من الحزن، وهذا الحزن عندما يسيطر على نفسية شاعر ما سيشحن أشعاره بالكآبة. يستخدم السياب الخريف في الكثير من أشعاره، حيث نجده يغمر كمّاً كبيراً من قصائده، لكنّنا نركز في بحثنا هذا على النماذج الموجودة في ديوان "أزهار وأساطير"، ففي قصيدة "في ليالي الخريف الحزين"، يقول:

«**في ليالي الخريفِ الحزين/ حيَن يَطغى عليَّ الحنين/ كالضبابِ الثقيل/ في زوايا الطريق/ في زوايا الطريقِ الطويل** (المصدر نفسه: ٥٥).

يستخدم الشاعر ظاهرة الخريف والضباب كوسيلة للتعبير عن شعوره بالحزن والكآبة والحنين الشديد، فالخريف هنا يرمز إلى مرحلة من العمر، وربما مرحلة من الحياة تتسم بالانكسار، والضباب الثقيل الذي يعم "زوايا الطريق الطويل" يشكل

صورة بصرية معبرة عن ثقل الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر، وإنَّ تكرار عبارة "في زوايا الطريق" يؤكد الإحساس بالضيق والحصار والمأزق الذي يعيش فيه الشاعر، كما أنَّ وصف الليالي بأنَّها "حزينة" و"مملة" يعكس مدى التأثر النفسي والشعوري لدى الشاعر. إذاً يظهر من خلال هذه الأسطر أنَّ الشاعر يستخدم الطبيعة الخريفية بما فيها من ضباب وليالٍ مظلمة كانعكاس لحالته النفسية المكتئبة والمتأرجحة بين الحنين والاكتئاب.

عادةً ما تتكاثر المعاني والدلالات الخريفية في نصوص السياب، لكنّه استخدم أكثر هذه العناصر بصورة غير مباشرة، ففي عرضه لهذه القصيدة يستمر بالحالة الخريفية، فيقول:

«في ليالي الخريف/ حينَ أصغي ولا شيءَ غيرَ الحفيف/ ناحلاً كانتحابِ السجين/ خافَ أن يوقظَ النائمين/ فانتحى في الظلام/ يرقبُ الأنجمَ النائمات» (المصدر نفسه: ٥٦).

فالحفيف والنحول والظلام والأنجم النائمات، من العناصر التي تظهر في الخريف، فالشاعر يشدُّ القصيدة حتى نهايتها بهذه العناصر الخريفية، وعادة هناك لبعض عناصر الخريف أصوات وحركات خاصة تميزه من الفصول الأخرى، منها ما نشاهده في هذه الأسطر حيث يقول: «حين أصغي ولا شيء غير الحفيف»، فكلمة "حفيف" لوحدها تحمل في طيّها الصوت والحركة معاً، كما أنَّ الصوت هنا يخرج في الليل فيعطي الصورة وضوحاً في سمع الشاعر وحزناً شديداً، وكما يقول: «ناحلاً كانتحاب السجين»، فيدعم الشاعر صوتَ الحفيف بالانتحاب، والاثنان يتشابهان، فاستمرار العلامة الصوتية يقوّي الصورة ويعطيها جمالاً فنياً.

أمّا في قصيدة "نهاية" فإنّ الشاعر، رغم خريف أحزانه، يعيش حالة من الأمل، فيبصر في عتمته بصيص ضوء يتأمّله، ويعبّر عنه بقوله:

«أضيئي لغيري فكلِّ الدروب/ سواءٌ على المقلةِ الشاردة/ سأمضي إلى مجهلٍ لا أؤوب/ فإن عادتِ الجثةُ الباردة/ فألقي على الأعينِ الخاويات/ طيبَ السماء/ لعلَّ الرؤى الخابيات/ يخبِّرنَ عن ذلكَ المجهلِ/ عن الريحِ والغابِ والجدولِ» (المصدر نفسه: ص ٧٧).

في هذه الأسطر، يبدو أنَّ الشاعر قد انتقل من حالة الحزن والكآبة التي عبر عنها في القصيدة السابقة، إلى حالة من الأمل والتفاؤل، فبدلاً من الضباب الثقيل والليالي الحزينة، نجد هنا إشارات إلى الضوء والحركة والانتقال من المجهول إلى المعلوم، فالشاعر يستنجد بالضوء الذي يبدد ظلام الخريف ويحيي الجثة الباردة، وعناصر الطبيعة كالريح والغاب والجدول تشي بإمكانية التحرك والعبور من حالة الجمود والركود إلى حالة الحركة والتجدد، فإنَّ استخدام الشاعر لصور الطبيعة الخريفية هنا له دلالة إيجابية مغايرة للدلالات السلبية في القصيدة السابقة، حيث إنَّ الخريف لم يعد رمزًا للحزن والكآبة، بل أصبح وسيلة للتعبير عن الأمل والنهوض من الركود والجمود، فتعكس هذه الأسطر تحوّلاً في نفسية الشاعر، من الانكسار والحزن إلى الأمل والتطلع إلى المستقبل المجهول، والذي قد يحمل في طيّاته إشارات للتغيير والتجدد. فنجد ذلك في نص القصيدة عندما يقول:

«ظلامٌ وتحتَ الظلامِ المخيف/ ذراعانِ تَستقبلانِ الفضاء/ أبَعدَ اصفرارِ الخريف/ تُريدينَ ألّا يَجيءَ الشتاء؟» (المصدر نفسه: ٧٨).

يصف الحالة التي تعتريه من خلال الخريف بظلامه المخيف في أمل أن ينتهي الخريف الذي وصف لياليه بالطول. وبعد الاصفرار والشحوب الذي غمر الخريف يريد العبور والتحوّل إلى الشتاء الذي يوصله إلى الربيع للتخلص من هذه الحالة الحزينة. فهذا العبور هو عبور حالات نفسية سيطرت على الشاعر، فنقلها بحذاقة في قصيدته. ويمكننا أن نربط هذه الحالة

الداخلية بالظروف الخارجية التي كان يعيشها العراق آنذاك، خاصةً في ستينيات القرن العشرين، والتي تمثّل مرحلة مهمة في حياة السياب، حيث غادر العراق بسبب مرضه وتغيرت حياته بشكل جذري، لكنَّه لم ينفصل عن هموم وطنه، فرفض قدوم الشتاء رغم رغبته في التغيير، يعكس تردّد الشاعر أمام التحوّلات الكبرى، ربما لأنَّه كان قد شهد وعودًا ثورية كثيرة لم تُحقّق ما وعدت به، فالشتاء هنا قد يكون رمزاً للتغيير الثوري أو السياسي الذي يبدو قاسياً أو غير مضمون العواقب، بينما الخريف هو مرحلة الانتظار المؤلم والتحول البطيء.

٤.٣. دلالة الشتاء

يُعرَفُ فصل الشتاء بالاكتئاب والكسل، ويعيش الإنسان من خلاله حالة نفسيّة تشاؤميّة، «ويُعتبر الشتاء فصل العزلة والانزواء والضيق» (الأحمد، ٢٠١١: ٩٨)، فهذه الحالات النفسية تؤثّر في نفسيّة الشاعر، فنجدهُ مستَخدَماً في استهلالات السيّاب المباشرة بشكل قليل، ولكنّه يوظّف الاستهلال بالشتاء وعناصره بصورة غير مباشرة بكثافة في ديوان "أزهار وأساطير". نذكر هنا نموذجاً مباشراً من قصيدة "ملال" حيث يقول:

ليلان غاما بالنجوم الآفلات على سهادي يومـان لا وعـد و لا لقيـا و تخفـق يا فـؤادي
وغدا سيمتليء انتظاري بالظلام و لا أراها وتجـول عيـني في الطريـق و تسـتقر علـى كتـابي
وأكيل بالأقداح ساعاتي و أسخر باكتئابي وأنام أحلـم بالشـتاء و أسـتفيق علـى هواهـا

(المصدر نفسه: ٧٥)

اليل والغيم، والنجوم الآفلات في مستهل القصيدة يمهدّ الفكرة للمتلقّي بأنّ المناخ مناخ الشتاء، حيث يعتريه الملل والكآبة المتوالية ويعيش كحالة انهزام ويهربُ من هذه الكآبة بالنوم، حيث يقول: «وأنامُ أحلمُ بالشتاء» فمع ذلك لا يتركهُ الشتاء حتى في منامه، فيستمرُّ الجوُّ الشتائي من المستهل إلى نهاية القصيدة في ألفاظ وأجواء وعناصر شتوية فلا يخرج الشاعر من هذه الدائرة والكآبة والملال، فيبقى مسيطراً على القصيدة حتى نهايتها، فيقول:

دب الملال إلى فؤادك مثل أوراق الخريف أهـواك مـاذا تهمسـين؟ أتلـك حشـرجة الحفيـف
في دوحـة صـفراء يقلـق ظلهـا روح الشـتاء لا تنظـري في مقلتيـك سـحابتان مـن الجليـد

(المصدر نفسه: ٧٦).

فهنا في المقطع الأخير من القصيدة نجد الشاعر لا يزال في الفضاء الشتائي، يتطلع إلى الخريف الذي يتناسب معه من حيث العناصر الطبيعية والحالة النفسية والدلالات، فأوراق الخريف وحشرجة الحفيف والدوحة الصفراء، كلّ هذه العناصر تتصل في النهاية بروح الشتاء الذي سيلحقها بعد انتهاء الخريف، ومن العلامات الصوتية التي تدلُّ على الملل هي: الهمس والحشرجة والحفيف، فجميع الأصوات خافتة متلائمة مع نفسية الشتاء والخريف.

وفي قصيدة "رئة تتمزق" نرى الشاعر يستهل القصيدة بالشتاء وذلك بألفاظٍ مثل "يثلجُ"، و"يشلُّ أنفاسي" و"السعال"، وكذلك الحالة التي يصفها في بداية القصيدة تعكس صورة شتوية عندما يقول:

الـــــداءُ يُـــــثلِجُ راحـــــتيَّ ويُطفِـــــئ الغـــــد في خيـــــالي
ويشـــــلُّ أنفاســـــي، ويُطْـــــ لِقهـــــا كأنفـــــاسِ الـــــذبالِ

تهتـــــــزُّ في رئتـــــــينِ يـــــــر قـــصُ فيهمـــا شـــبحَ الـــزوالِ
مشـــــــــــدودتينِ إلى ظـــــــــلا مِ القـــــبر بالـــــدمِ والســـــعالِ

(المصدر نفسه: ٣٥)

فنشاهدُ في هذه الأبيات البرد الذي يثلج راحتيه فيُصابُ بالداء والأنفاس التي تُشَلُّ من شدّة البردِ وكذلك السعال الذي يولدهُ ذلك البرد الشديد. هذه الحالة تعكس لنا المناخ الشتوي بكل ما يحمله من كآبة وتشاؤم. فلهذا نستطيع أن نعتبر هذا الاستهلال استهلالاً للشتاء وكآبته وتشاؤمه، فهذه البداية الشتوية تضع المشهد والحالة النفسية للشاعر الذي يصور نفسه كمريض يعاني من آثار البرد القارس. وإنَّ هذه الأبيات الافتتاحية تعكس جوًّا من التشاؤم والضيق وتهيئ المتلقي لتجربة شعورية مأساوية، كما أنَّ هذا الاستخدام المكثف للصور الشتوية في بداية القصيدة له دلالاته الرمزية والنفسية العميقة، والتي تتّضح أكثر كلما تقدمنا في قراءة القصيدة، فالشتاء هنا يرمز إلى حالة داخلية من البرودة والقتامة والاكتئاب التي يعيشها الشاعر. وبهذا يُعتبر هذا الاستهلال مفتاحاً لفهم البعد الرمزي والنفسي للنص، فتستمرُّ القصيدة بالحالةِ التشاؤمية في باقي أبياتها وذلك لمناسقتها مع الحالة الشتوية في مستهل القصيدة فيقول:

يا للنهايـــــة حيـــــن تُســـــ دلُ هـــــذه الرئـــــة الأكيـــــلُ
بـــين الســـعالِ علـــى الـــدما ءِ فيخـــتمُ الفصـــلُ الطويـــل
والحفـــــرةُ الســـــوداءُ تفـــــ ـــغرُ، بانطفـــاءِ النـــورِ، فاهـــا
إني أخـــافُ أخـــافُ مـــن شـــــبحٍ تُخبّئـــــهُ الفصـــــولُ
وغـــــداً إذا ارتجـــفَ الشـــتا ءُ علـــى ابتســـاماتِ الربيـــع

(المصدر نفسه: ٣٧)

فهنا يدعم الصورة التي رسمها بفصل الشتاء في مستهل القصيدة بذكر شبح الفصول وارتجاف الشتاء الذي يعني بهِ انتهاء الشتاء وابتسامات الربيع التي يعني بها دخول فصل الربيع؛ فهذا كلّه يولّد حالة من الأمل، فبرغم الكآبة التي كانت تعيشها القصيدة نجدُ هنا نافذةً إلى مستقبلٍ أفضل وأملٍ أرقى مع ولوج الربيع.

٤. دلالات المناخ غير المباشرة

في المحور السابق تطرقنا إلى الفصول وعناصرها المباشرة حيث كانت تلك الفصول والعناصر واضحةً جليّةً في الاستهلال وفي النص بأكمله، لكننا وجدنا في بعض القصائد يتطرق الشاعر إلى تلك العناصر بشكل غير مباشر واصفاً حالةً تعكس عناصر تلك الفصول، ففي قصيدة "أهواء" من مجموعة "أزهار وأساطير" يُشير إشارة غير مباشرة إلى مناخ الصيف في مستهل القصيدة عندما يقول:

أطلّـــي علـــى طـــرفيَ الدامـــعِ خـــيالاً مـــن الكـــوكبِ الساطـــعِ
ظـــلاً مـــن الأغصـــنِ الحـــالماتِ علـــى ضـــفّةِ الجـــدولِ الـــوادعِ

(المصدر نفسه: ١١)

الإشارة إلى الصيف في هذه الأبيات تبدأ من الكوكب الساطع وعادةً ما يسطع الكوكب والنجم بشكلٍ أوضح في فصل الصيف، والمعنى الكامن في هذه الصورة الشعرية الجميلة، يتجلّى في إطلالة حبيبة الشاعر وهو في حالة بكاء، فسطوع

الكوكب عبارة عن صفاء النفس وانشراح الشاعر عند إطلالة حبيبته، وبما أنّنا نبحث عن امتداد فكرة الاستهلال في عمق النصّ، نشاهدهُ في الأبيات الأخرى من القصيدة يدعم هذه الفكرة في عناصر مختلفة للصيف مثلاً عندما يقول:

فديــتُ الــتي صــوّرتها مُنــاي وظلُّ الكــرى في هجيرِ السهر

(المصدر نفسه: ١١)

فالهجير هو من العناصر الأساسيّة للصيف وجاءت هذه اللفظة داعمةً لدلالاته، وهجير السهر عبارة عن الليالي الحارة، حيث يمنع حرها النوم، واستهلاله بأحد عناصر الصيف وهو وضوح وسطوع النجم في ليالي الصيف؛ غير أنَّهُ يذكر ألفاظاً أخرى وعناصر أخرى ربمّا يظنُّ القارئ بأنَّهُ خرج من دائرة الصيف، وهذه العناصر مثل الشتاء، والربيع، ولكن عندما نلحظ هذه الألفاظ في الأبيات التالية من القصيدة، نجد السيّاب نافياً هذه العناصر من الحالة التي يعيشها في القصيدة، بل هي كذكرى من الربيع وخاطرة من خواطر الشتاء، والدال على ذلك هذه الأبيات:

بعشــرين كلاً وهبــتُ الربيع وما فــيهِ مِن عمــريَ العاشقِ

فما ظــلَّ إلا ربيــعٌ صغيــر أخبيــــهِ للمــــوعدِ الرائــقِ

(المصدر نفسه: ١٢)

فنشاهد الربيع في هذه الأبيات ما هو إلا ذكرى يخبئها الشاعرُ لموعدٍ قد يأتي أو كان في سابق الأمر، وهو لا يزال يعيش في مناخ الصيف، ولم يخرج من الجوّ الصيفي، ونراهُ يدعم الفكرة بشكلٍ أقوى ومباشر في أبيات أخرى عندما يقول:

خصــاماً ومـازالَ بعــضُ الربيــع نَديَّاً على الصيــفِ مخضــوضرا

(المصدر نفسه: ١٣)

فيتحدث هنا عن الربيع وكأنَّهُ عابرٌ ويذكر بأنَّهُ في جوِّ الصيف بصورةٍ مباشرةٍ. وفي قصيدة "اللقاء الأخير" يستهلُّ الشاعر قصيدته بمناخ الربيع من خلال الأزهار والعطور والشذى، وهذا الأمر يأتي لأنّ نفسيّة الشاعر تتحسّن من خلال اللقاء بحبيبته:

«**والتفَّ حولكِ ساعداي، ومالَ جيدُكِ في اشتهاء/ كالزهرةِ الوَسنى فما أحسَستُ إلّا والشفاه/ فوقَ الشفام وللمساء/ عطرٌ يضوعُ فتسكرينَ به، وأسكرُ مِن شذاه/ في الجيدِ والفمِ والذراع**» (المصدر نفسه: ٢٣).

فلم ينتهِ من الجوّ الربيعي فيذكر عناصر أخرى مثل السنا، والنشوة، ثمّ ينتقل بعد ذلك عندما يحلُّ الوداع بعد اللقاء الربيعي القصير إلى عنصر من عناصر الصيف، وهو السراب وذلك بعد أن يحين وقت الوداع فيقول:

«**هذا هو اليومُ الأخير، فليتهُ دونَ انتهاء/ ليت الكواكبَ لا تسير/ والساعةُ العَجلى تَنامُ على الزمانِ فلا تَفيق/ خَلّفتني وحدي أسيرُ إلى السرابِ بلا رفيق**» (المصدر نفسه: ٢٤).

فيتشبّث هنا بإبقاء الزمن على حالةٍ واحدةٍ ولا يودُّ العبور من الربيع، فيريد الكواكب أن لا تسير والساعة تنام فلا تفيق حتى لا ينتهي فصل الربيع، ولكنَّ مقدورهُ أن يسير نحو السراب ويريد بالسراب هنا هو العبور من الربيع إلى الصيف، والسراب هو أحد عناصر الصيف، فيودُّ الشاعرُ البقاءَ معتقداً بأنَّهُ سيُلاقي بعد ذلك الخريف الذي يفرّ منهُ في هذه القصيدة والذي سيغمرهُ بالتشاؤم والكآبة بعد الفراق، فنراهُ يقول:

«**في ذلكَ الصمتِ المميت: ألن تخفَّ إلى لقاء/ ليلٌ ونافذةٌ تُضاء/ تَغشى رؤايَ، وأنتِ فيها... ثمَّ يَنحلُّ الشعاع/ في ظلمةِ الليلِ العميق/ ويلوحُ ظلُّكِ من بعيدٍ وهو يؤمئُ بالوداع/ وأظلُّ وحدي في الطريق**» (المصدر نفسه: ٢٥).

نشاهده في هذه الأسطر يصف إحدى عناصر الخريف، وهو ظلمة الليل العميق حيث إنّ الليل أكثر حلكةً وظلاماً في الخريف والشتاء بسبب الضباب والسحاب، وخريف قصيدته هو ابتعاد حبيبته وبقائه وحيداً في الطريق، فمن خلال هذه الأسطر نراهُ يمزج العناصر المختلفة من الصيف كـــ«السراب» والخريف كـــ«ظلمة الليل العميق»، لأنّ الفراق يحول بينهُ وبين حبيبته. فهو يحاول ويطلب أن يبقى الربيع وأن لا يأتي الصيف ولا حتى الخريف والشتاء، فهذه العناصر غير المباشرة عبارة عن لقاء وفراق بينه وبين حبيبته، فكلّ هذه التقلبات الطقسية ما هي إلّا تقلبات في نفسية الشاعر.

في قصيدة "أساطير" يستهلُّ القصيدة بعناصرٍ غير مباشرة بحالة مشبعة بالاكتئاب يستلهم المتلقّي من خلالها جوّاً خريفياً عندما يقول:

«أساطيرُ من حَشرجاتِ الزمان/ نسيجُ اليدِ البالية/ رواها ظلامٌ مِنَ الهاوية/ وغَنّى بها ميّتان/ أساطيرُ كالبيدِ، ماجَ السراب/ عليها، وشقّت بقايا شِهاب/ وأبصرتُ فيها بريقَ النُّضار/ يُلاقي سُدًى مِن ظلال الرغيف/ وأبصرتني والستارُ الكثيفُ/ يُواريك عنّي فضاعَ انتظار/ وخابت مُنىً، وانتهى عاشقان» (المصدر نفسه: ٢٧).

يمثل هذا المقطع لوحة شعرية داكنة تمتزج فيها صور الطبيعة بالحالة النفسية للشاعر، حيث يستخدم السياب مجموعة من الرموز الدالة على الذبول والفقدان، مثل "حَشرجات الزمان"، و"اليد البالية"، و"ظلام من الهاوية"، و"ميّتان"، وهي ألفاظ تحيل إلى مرحلة الخريف كرمز لانطفاء الحياة وتدهور الأمل. لكن خلف هذه الصورة البيئية الجميلة والمؤلمة، يمكننا أيضاً رصد إشارات واضحة إلى الواقع الاجتماعي والسياسي الذي كان يعيش فيه الشاعر، فـ"حشرجات الزمان" قد تكون رمزاً لنهاية مرحلة ثورية واعدة، أو لانحسار الأمل بعد ثورات سياسية لم تحقق ما وعدت به. و"اليد البالية" قد تمثل الشعب المنهك أو المثقف الذي فقد قدرته على التأثير في مجرى الأحداث. أما "ظلام من الهاوية" و"ميّتان"، فتعبران عن حالة اليأس التي عمّت المجتمع. بهذا، يصبح النص ليس مجرد وصف لفصل الخريف أو لحالة نفسية، بل هو شهادة شعرية على أزمة الإنسان العربي الحديث في مواجهة الواقع السياسي القاتم والوعود الضائعة. ومن خلال القصيدة نلمح أنَّهُ يدعو حبيبتهُ للقاء، ولكنَّهُ يجد الخريف لايزال موجوداً، فيعرقل لقائهما عندما يقول:

«تعالي فما زالَ لونُ السحابِ، حزيناً/ يُذكِّرُني بالرحيل/ رحيل؟/ تعالي، تعالي،... نذيبُ الزمانَ، وساعاتِهِ في عناقٍ طويل، ونصبغُ بالأرجوان/ شراعاً وراءَ المدى/ وننسى الغدا/ على صدركِ الدافئِ العاطرِ/ كتهويمةِ الشاعرِ/ تعالي فملء الفضاء صدىً هامسٌ باللقاء/ يُوسوِسُ دونَ انتهاء» (المصدر نفسه: ٢٩).

السحاب الحزين والرحيل يدعمان فكرة الحشرجة والموت، ويدلان على جوٍّ خريفي، لهذا يُعبّر الشاعر عن جوٍّ مخيف وغير راغب فيه، ويريد بذلك تفتيت الزمن والخلاص من الحالة الخريفية التي يعيشها، وهذه الرغبة في التحرر من الزمن والمكان قد تحمل أيضاً دلالات اجتماعية وسياسية خفية، خاصةً إذا وضعنا النص في سياق المرحلة التي كان يعيشها السياب، والتي تميزت بخيبة الأمل بعد الثورات العربية، وشعور الشاعر بالاغتراب السياسي والنفسي، فالـ"رحيل" قد لا يشير فقط إلى الرحيل العاطفي أو الطبيعي، بل إلى رحيل الوطن أو الأمل أو حتى الذات المنفصلة عن مجتمعها.

٥. عناصر المناخ

في هذا المحور، نحاول أن نتحدّث عن عناصر ترتبط بالفصول الأربعة، وبدون أن يذكر الشاعر اسم الفصل تدلُّ هذه العناصر على الفصل نفسه؛ وقد نرى أنَّ ذكر هذه العناصر بشكل خفي، على أساس ما يخفيه السياب من نفسيات مشابهة لها في داخله. ونجد هذه العناصر بكثافة في أشعار السياب، وبالأخص في ديوان "أزهار وأساطير"؛ فمن هذا المنطلق سنذكر هذه العناصر مؤكدينَ على دلالاتها وإيحاءاتها النفسيّة في بنية القصيدة.

١.٥. الريح

الريح إحدى عناصر الخريف، كما يُسمّى «تشرين الثاني شهر الريح» (حمور، ٢٠٠٦: ٤٥)، وهو أحد أشهر الخريف التي تكثر فيها الرياح، وأمّا بالنسبة للدلالة النفسية، وإذ نظرنا إلى بلد الشاعر "العراق" ومناخ المنطقة، فنجد للريح في الشعر دلالات مختلفة، منها سلبيّة: وهي وجودها في الخريف الحزين، وأخرى إيجابية: وهي الحركة والانطلاق، فإنَّ الريح من العناصر التي تُحدِثُ تغييراً في الأشياء، وهي التي تبدّدُ السكون، فإن وظّفها الشاعر على هذا الأساس فقد أظهرَ الصورة الإيجابية منها، وإن وظّف أصوات الرياح المخيفة لبثّ الأحساس التشاؤمي عند المتلقي، فقد أظهرَ لنا صورتها السلبية، فنشاهد السيّاب في قصيدة "سوف أمضي" يستخدم عنصر الريح بدلالة إيجابية ليتخلص من غربته واجتيازها إلى مستقبل أفضل، فيقول:

«سوفَ أمضي، أسمعُ الريحَ تناديني بعيداً/ في ظلامِ الغابةِ اللفاءِ...والدربُ الطويل/ يَتمطّى ضَجَراً، والذئبُ يعوي والأفولُ/ يسرقُ النجمَ كما تَسرقُ روحي مُقلتاك/ فاتركيني أقطعُ الليلَ وحيداً/ سوفَ أمضي فهيَ مازالت هناك/ في انتظاري» (السياب، ٢٠١٧: ٣٩).

يمثل هذا المقطع لوحة درامية من الحركة والانفعال، حيث يستخدم السياب عناصر الطبيعة كأدوات تعبيرية عن حاله النفسية والوجودية، فالريح التي "تناديه بعيداً" ليست مجرد ريح خريفية، بل هي رمز للانطلاق والدعوة نحو المستقبل، وهي تشير إلى الرغبة في التحرر من الواقع والعبور نحو الأمل رغم القسوة والعتمة التي تحيط بالمسار، ومن خلال هذه الصورة، نجد أنَّ الشاعر لا يستسلم لجو الخريف أو الشتاء، بل يحاول اجتيازه نحو مجهولٍ ما زال يحمل بريقاً من الأمل، وهو ما يظهر في قوله: «فسوفَ أمضي فهيَ مازالت هناك / في انتظاري»، مما يوحي بأنَّه يحمل إيماناً بوجود نهاية مشرقة رغم الظلمات التي تحيط به. لكن هذا العبور لا يتمُّ دون معاناة؛ فـ«الذئب يعوي» وهو صوت مألوف في ليالي الشتاء الباردة، ويمثل الخوف والتهديد الخارجي أو الداخلي، أما «الأفولُ يسرقُ النجم» فهو تعبير عن فقدان الإشراق والهداية، ويُوحي بغياب الأمل أو الدليل في طريق طويل ومليء بالضياع، وهو ما يتطابق مع حالة الشتاء الرمزي الذي يمثل الانطفاء والبرودة والوحدة، إلا أنَّ الشاعر لا يستسلم لهذا الجو القاتم، بل يختار أن يشق طريقه وحيداً، وهو ما يعكس صراعه مع الظروف الداخلية والخارجية، سواءً على مستوى الألم الشخصي (مرضه وغربته) أو على مستوى الواقع الاجتماعي والسياسي الذي كان يمرُّ به الوطن العربي آنذاك، من قمع وتشتت وانكسار.

٢.٥. الضباب

الضباب هو أحد عناصر الشتاء وتنطبق عليه النفسيّة الكئيبة التي تعتري الإنسان في الشتاء؛ فله دلالة سلبيّة من حيث إنَّه يقصر النظر عن رؤية الأشياء، نجد هذا العنصر الشتائي ظاهراً في مستهل الكثير من قصائد السيّاب لا سيّما في قصيدة "أقداح وأحلام" حيث يقول:

الشـــرقُ عُفّـرَ بالـــضبابِ فمـا يَبـــدو فـأينَ ســـناكَ يا غـربُ؟
مـا للنجـــومِ غـــرقنَ مـن سـأمٍ في ضـــوئهنَّ وكـادت الشُهُـب

(المصدر نفسه: ٧)

عنصر الضباب حيث هو عنصر شتائي إذ جاء في بداية القصيدة أعطى القصيدة بأكملها بُعداً تشاؤمياً بما فيه من إبهام وعدم وجود الرؤية الكافية وقد يظهر في النص الهول من المجهول، فتتماسك القصيدة بهذا البُعد من مستهلها إلى نهايتها، فنذكر نموذجاً من نهاية القصيدة، لدعم الاستهلال وتناغم القصيدة وذلك بدلالاتٍ غير مباشرة لفصل الشتاء، فيقول:

والبـــــومُ يملأ عـــــشّهُ نُتَفـاً مـن شـــــعرك المتعفّـر النـــخرِ
ويعـــودُ ثغـــرك للـذباب لقـىً ويـــداك مثقـــلتانِ بالحـــجرِ
لا تدفـــــعانِ أذاهُ عـن شـَــفةٍ بالأمـــسِ أخـرسَ لغوهـا وتـري
وليُسـقَ مـن دمـك الخبيـثِ غـداً دوحٌ تُعـــشّشُ فـــوقَه الغـــربُ
تأوي الصـــــلالُ إلى جـــوانبِهِ غَرثـى ويَعـــوي تحتَـه الكـــلبُ

(المصدر نفسه: ٩)

المفردات التي شحنت هذا المقطع بالتشاؤم هي البوم، والنخر، والذباب، والخبيث، والأخرس، واللغو، والغراب، وعواء الكلاب، حيث يصوّر لنا مشهداً شتائياً مُخيفاً من الأجواء التي كان يعيشها آنذاك، فكلّ هذه الألفاظ توحي بالحالة النفسية السلبيّة التي كان يعيشها في الشتاء.

وأيضاً يُكرّر هذا المشهد الشتائي الحزين بالعنصر الضبابي من جهة والمشهد الخريفي بعناصره المتشابهة من جهة أخرى وذلك من خلال قصيدة "في السوق القديم" حيث يقول:

«الليلُ، والسوقُ القديم/ خفتت به الأصواتُ إلّا غمغمات العابرين/ وخُطى الغريبِ وما تَبثُّ الريحُ مِن نَغَمٍ حزين/ في ذلكَ الليلِ البهيم/ الليلُ والسوقُ القديم، وغمغماتُ العابرين/ والنورُ تعصرُه المصابيحُ الحَزانى في شُحوب/ مثل الضبابِ على الطريق/ من كلِّ حانوتٍ عتيق/ بينَ الوجوه الشاحباتِ، كأنَّه نغمٌ يذوب/ في ذلكَ السوقِ القديم» (المصدر نفسه: ١٧).

يقدم الشاعر صورةً بصرية وسمعية درامية تحمل طابعاً خريفيّاً واضحاً، حيث تظهر دلائل الخريف من خلال ألفاظ مثل «المصابيح الحزانى في الشحوب»، و«الوجوه الشاحبات»، و«غمغمات العابرين»، و«ما تبث الريح من نغَمٍ حزين»، وهي تعبيرات تحمل إيحاءً بالذبول، والخواء، والفقد، تماماً كما هو الحال في الطبيعة في فصل الخريف حين تتساقط أوراقها مصفرة، محملة بنسمات الريح التي تثير حفيفاً يشبه النغمة الحزينة. كما أن التشبيه بـ«مثل الضباب على الطريق» يعزز هذا الإحساس بالضبابية وعدم الوضوح، سواءً في المشهد الخارجي أو في الحالة النفسية للشاعر، فالضباب هنا ليس مجرد عنصر طبيعي، بل رمز لحالة من التشتت والاغتراب والضياع. ويشبه السياب الأجواء الإنسانية بأجواء الطبيعة الخريفية، ليجعل من السوق القديم مرآة للزمن الذي يذوب ويتلاشى، تماماً كما يذوب «نغمٌ» في الهواء أو تسقط أوراق الشجر في هدوء مأساوي. ويمكننا أيضا قراءة هذه الصورة من خلال السياق الاجتماعي والسياسي الذي كان يعيشه الشاعر، خاصةً في فترة كتابة القصيدة، حيث كانت المجتمعات العربية تعاني من حالة من الركود والحزن بعد أحلام ثورية ضائعة، فالسوق القديم قد يُفسّر كرمز للواقع العربي المتخلف أو المجمد، حيث تغيب فيه الأصوات الحية وتبقى فقط «غمغمات العابرين» و«خطى الغريب»، أي أناس لا يمتلكون حضوراً أو فعلاً حقيقياً في الحياة العامة.

٣.٥. الصاعقة

الصاعقة من العناصر الأخرى التي تظهر في الشتاء عندما تسوء الأحوال الجويّة، فتسوء بذلك أحوال الإنسان فيشعر بالرهبة والخوف والمفاجأة، فنرى السيّاب يُوَظِّف هذا العنصر الشتائي في قصيدة "لن نفترق" حيث يصاب بصاعقة الفراق، فيقول:

هبَّت تُغَمـغِمُ ســوفَ نفترقُ روحٌ علـى شفتيـــك تحـــترقُ

صـــوتٌ كأنَّ ضـرامَ صاعقةٍ ينـــداحُ فيـه وقـــلبي الأفـقُ

(المصدر نفسه: ٤٣)

نشهد في هذا الاستهلال الشتائي الصاعقة تظهر برعدها وبرقها فتملأُ الأفق بضرامها، فيصوّر لنا الشاعر المفاجأة التي تحدث بعد أن تقول الحبيبة: "سوف نفترق" فيُصعَقُ عند سماع صوتها الخارج كالرعد مولداً الصاعقة التي أصابت قلبه، فهذه البداية التي تعكس المناخ الشتوي المتأزّم بالنسبة للشاعر، تتماسك في دلالتها وإيحاءها حتى نهاية القصيدة، فتبقى دلالة الخوف متواجدةً في نهايات القصيدة ويبقى كذلك المناخ شتائيا بعناصره الأخرى عندما يقول:

الحـزنُ في عينيـــكِ مـــرتجفٌ واليـأسُ في شفتيـــكِ يضـطربُ

ويـــداكِ باردتانِ مـــثلَ غـدي وعلـى جبيـنكِ خـاطرٌ شَـحِب

(المصدر نفسه: ٤٣)

فالدلالات واضحة من خلال مفردات مثل: "مرتجف" و"باردتان" و"الحزن "و"يضطرب" و"شحب"، فالارتجاف والبرد والشحوب تدلُّ على المناخ الشتويّ، والحزن والاضطراب يدلّان على الحالة النفسيّة التي تصيب الإنسان في فصل الشتاء. والغاية من إتيان الشاعر بهذه الصورة الشتائية التي ركَّبها على ملامح حبيبته ويديها، هي عبارة عن انتهاء علاقة حب، وبرود الشوق من قِبَل حبيبته.

٦. العنوان ودلالاته المناخيّة

يُعَدُّ العنوان العنصر الأوّل والأساسي لمستهلِّ كلّ قصيدة، بل هو الاستهلال بذاته، «فالعنوان في الشعر كان أم في النثر يعمل على تحديد مغزى المتن و يمكن أن نتصوّر للمتن قيمة أدبية دون حضور العنوان» (بلاوي، ٢٠٢٠: ٦٤)، كما هو أوّل ما يواجه الدارس والباحث عند مباشرته لدراسة وتفحّص أي قصيدة، «فإنَّ العنوان يُقدِّم لنا معرفة كبرى لضبط انسجام النص، وفهم ما غمض فيه، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه» (مفتاح، ١٩٩٠: ٧٢)، ويعتبر «العنوان علامة لغوية ذات دلالات» (طالبي قره قشلاقي، ٢٠٢٢: ٩٨)، إذ يُدرس من زوايا مختلفة، و«يلاحظ دارس شعر السيّاب كلّه، إنَّ عنوانات القصائد تفرض سيطرتها المعرفية واللفظية على استهلالاتها» (النصير، ٢٠٠٩: ٢١٧)، ونحن في هذا البحث نَصُبُّ اهتمامنا على دراسة عناصر المناخ وما يرمي إليه الشاعر من اختياره لعناوينه المشبعة بالدلالة المناخيّة.

نجد في دواوين السيّاب الكثير من العناوين التي يتنفسُ المناخ فيها مواسمَه، ويَرصفُها بتفاؤل الربيع وحزن الخريف والشتاء وملل الصيف، أمّا في ديوان "أزهار وأساطير" فحاول الشاعر أن يأتي بعناوين تختصُّ بروح القصيدة من خلال اختيار مفردات وجمل موفقة، فهذه قصيدة "سراب" تأتي على الغرض الذي أراد به الشاعر قائلاً:

«بقايا منَ القافلة/ تنيرُ لها نجمةٌ آفلة/ طريقَ الفناء/ وتؤنسُها بالغناء/ شفاهٌ ظِماء/ تهاويلَ مرسومةً في السراب/ تُمزّقُ عنها النِقاب/ على نظرةٍ ذاهلة/ وشوقٌ يُذيبُ الحدود» (السياب، ٢٠١٧: ٤٥).

فالسراب هو أحد عناصر الصيف حيث أراد الشاعر أن يبني القصيدة وفق هذا المناخ من خلال العنونة، وكانت روح القصيدة متماسكة مع العنوان من خلال مفردات كـــ"شفاهٌ ظماء"، و"شوقٌ يذيب الحدود"، فالذوبان عادةً يحصل في الحرارة الشديدة واللهب الصيفي في مناطق الجنوب في العراق. ثمّ يأتي بعنوانٍ آخر يدلنا على فصل الربيع بصورة غير مباشرة، من خلال استخدامه عنوان "عبير"، فالعبير هو الرائحة الزكية التي تولد من أزهار الربيع، فيقول:

عطّرتِ أحـــلامي بهذا الشـذى مـن شـــعرك المُسترسـلِ الأسـودِ

(المصدر نفسه: ٥١)

كما قلنا إنَّ للعنوان دوراً كبيراً في الاستهلال والشاعر الماهر يختار عناوين قصائده بدقّة فائقة مما يضفي جمالاً آخر على القصيدة، ففي قصيدة "عبير" قد اختار السياب هذا العنوان بذكاء خارق، إذ نرى القصيدة من بدايتها حتى النهاية متشذيّة بهذا العبير وعبقة بالعطور، وتبدأ القصيدة بهذه المفردة: "عطّرتِ" ولم يكتفِ بها، فيقول «عطّرتِ أحلامي بهذا الشذى» وإذا أردنا دراسة موتيف القصيدة فنجد "العطر" و"الشذى" و"الجو ربيع" و"عبير الحبّ" و"الشذى واللظى" وكلّها تنصبّ في قالب رائحة العبير الذي وصفه بعبير الحب الذي فاح من شعر حبيبته المسترسل ويصفها في النهاية بأفضل صورة إذ يقول:

هبّــت عليهِ الريـحُ مجنونة محلولة الشــعرِ خضيب اليـدِ

(المصدر نفسه: ٥١)

فخضب اليد يدلُّ على فصل الربيع واخضرار البيئة، حيث الخضاب يؤخذ من الطبيعة ويتناسب مع الشذى والعبير من ناحية الدلالة والإيحاء إلى الربيع.

وفي قصيدة أخرى بعنوان "في ليالي الخريف الحزين" نشهد الخريف يُتَّصَف بحزنه، إذ يستهلّ القصيدة بهذا العنوان كذلك ويقول:

«في ليالي الخريفِ الحزين/ حينَ يَطغى عليَّ الحنين/ كالضبابِ الثقيل/ في زوايا الطريق/ في زوايا الطريقِ الطويل/ حينَ أخلو وهذا السكونُ العميق/ توقدُ الذكريات/ بابتساماتكِ الشاحبات/ كلُّ أضواءِ ذاكَ الطريقِ البعيد/ حيثُ كانَ اللقاء» (المصدر نفسه: ٥٥).

فالشاعر من خلال برودة المناخ الذي يعيشهُ في أجواء القرية، حيث يحتاج إلى دفء، فيرى الذكريات الدافئة من خلال جملة «توقدُ الذكريات»، والابتسامة لحبيبته هي الأضواء من خلال جملة «بابتساماتك الشاحبات». ولا يجد في ذلك الظلام الخريفي الدامس إلا تلك الابتسامات تنير له الطريق. في الحقيقة، لم يكن الخريف حزيناً، وهل يمكننا أن نضيف على مناخٍ ما صفة الحزن أو السرور؟ بل هو الشاعر من يكون حزيناً، ويتبيّن ذلك من خلال المفردات المشحونة بالكآبة والحنين والسكون والرحيل والانتحاب والغمام والظلام والقبور والسجن وعالم الموت والعذاب. ولو أمعنّا النظر نرى بأنَّ الشاعر عَبَّر عن مكنونات قلبه، ويمكننا القول بأنَّ السياب هو الخريف، إذ يرى نهاية حياته ويصف نفسياته بمفردات بغيضة وبائسة، ويتساقط عليه الخريف مثل الضباب الثقيل، حينما يقول:

«في سكونِ المساء/ هل يعودُ الهوى من جديد/ عاهديني إذا عاد... يا للعذاب/ عاهديني ومرَّت بَقَايا رِياح/ بالوريقاتِ في حيرةٍ واكتئاب/ ثُمَّ تهوي حِيالَ السراجِ الحزين/ انتهينا... أما تَذكرين» (المصدر نفسه: ٥٥).

فمن خلال قراءتنا لهذا النصّ اتّضح لنا تلائم العنوان مع النصّ، حيث كان قد أوصل الشاعر فكرة النصّ باختياره الدقيق للعنوان، فوُفِّقَ في هذا المدخل الذكي وربطه بالقصيدة.

ما نراه في قصيدة "في أخريات الربيع" يكون مختلفاً عن العناوين الأخرى، حيث لم يذكر ألفاظ العنوان في القصيدة، لكن من خلال قراءتنا للنصّ يتبيّن لنا أنَّ ما يرمي إليه السياب هو نهاية الربيع، ويطلب من الحبيب أن يعود ويتردّد صداه، لأنَّ هناك بقي شيء من ملامح الربيع ولم يرحل بعد، فيقول:

يا ضيــاءَ الحقــولِ يا غنـوةَ الفـ لاحِ في الســاجياتِ مِـن أسـحارِه

أقبلي، فالربيــــعُ مـازالَ في الوا دي فبُلِّي صـداكِ قبـلَ احتضـارِه

(المصدر نفسه: ٩٣)

يمثل النص دعوة حميمة وعاطفية إلى الحياة والنور والوجود، حيث يخاطب الشاعر "ضياء الحقول" و"غنوة الفلاح"، أي صوت الطبيعة الحيوي وأصوات العمال فيها، وهو يحثهم على المجيء قبل أن يلفظ الربيع أنفاسه الأخيرة. والعبارة «قبل احتضاره» تحمل إيحاءً واضحاً بأن الحياة على أعتاب الزوال، وأن الحالة التي يعيشها الشاعر أو المجتمع ليست بعيدة عن الموت الروحي أو النفسي، وعلى الرغم من أنَّ السياب يستخدم رمزية الفصول - وخاصةً الربيع - فإنَّ قصيدته لا تتناول الطقس بشكل مباشر، بل توظيفه كإيحاء لحالة داخلية واجتماعية عميقة، فالربيع هنا يمثل الأمل، والإبداع، والحياة المتدفقة، بينما يشير "المساء الكئيب"، و"المعبر المهجر"، و"نوح الفلاح" إلى مرحلة التراجع والانطفاء، أي نهاية الربيع واقتراب الخريف والشتاء، وهما رمزان للذبول والموت، ومن خلال هذا التناقض بين الدعوة الملحة إلى الحياة ("أقبلي") وقرب "احتضار" الربيع، يتضح أنَّ الشاعر يعبِّر عن أزمة وجودية وسياسية في آن واحد: فهو يشعر بأنَّ الأمل الذي كان يحمله قد بدأ في الذبول، سواءً بسبب مرضه الشخصي، أو بسبب خيبة الأمل السياسية التي عاشها بعد الثورات العربية، أو نتيجة الاغتراب والفقد.

النتيجة

توصلنا في هذا البحث إلى النتائج التالية:

– لقد وظّف السيّاب المناخ في مستهل قصائده من ديوان "أزهار وأساطير" بكثافةٍ، ففي هذا الديوان الذي يحتوي على ٢٩ القصيدة؛ استهلَّ ٢٣ قصيدة منها بالمناخات المختلفة بصورة مباشرة وغير مباشرة.

– قد استخدم السياب العناصر المرتبطة بالفصول الأربعة بطريقة تتناسب مع الموضوع والأجواء النفسية المتعلقة بها، وبما أنّ العنوان يُعَدّ الركيزة الأولى للاستهلال، فقد وجدنا أربعة عناوين طقسية تناسب عناصر القصيدة وتحقق التوافق الدلالي، فعندما يستخدم عنواناً يتضمن المناخ، يعطي تلميحاً أولياً للمتلقي بشأن الأجواء والمشاعر التي ستُعَبَّر عنها في القصيدة.

– استنتج البحث من خلال ملاحظة استخدام الاستهلالات المناخية التي تعتبر سمة مميزة في معظم قصائد السياب، أن استخدام الخريف يحتل المرتبة الأولى في قصائده ليعكس الخواء والجفاف الذي تأثرت به روحه ووطنه، وبالمقابل، استخدم الربيع في المرتبة الثانية ليشير إلى الخصب والنمو والتجدد في المستقبل القريب، ولكن يجب التأكيد على أنَّه استخدم الشتاء بشكل متكرر أيضاً في استهلالاته، ممّا يرمز إلى البرودة والقسوة والظروف الصعبة التي مر بها.

– بالرغم من استخدام الشتاء والربيع بشكل مكثف، كان استخدام الصيف يعد استثناءً نسبياً، حيث كان غير متواجد بشكل مكثف في الاستهلالات، ويرجع ذلك إلى التركيز الأكبر على الجوانب السلبية والتشاؤم في قصائده، ومع ذلك، يمكن أن يُفهم استخدام الصيف في بعض الحالات على أنّه رمز للحياة والنشاط والجمال، وقد يكون له دلالات إيجابية بسياق معين.

– وبصورة عامة قد استنتج البحث أنَّ السياب استخدم عناصر المناخ بشكل مكثف في قصائده، مع التركيز الأكبر على الخريف والشتاء كرموز للبؤس والتشاؤم، واستخدام الربيع كرمز للتجدد والأمل في المستقبل، كما تأتي العناصر الفصلية الأربعة كعناصر إضافية تعزز الرمزية والتوافق الدلالي في قصائده، إذ تميز استخدامه لعناصر المناخ بالتنوع والغنى، فقد استخدم مجموعة متنوعة من المفردات والصور والرموز المتعلقة بالمناخ في استهلالاته، وقد تنوعت هذه العناصر من حيث اللغة والصورة والتركيب، ما أضفى على القصائد طابعًا فنيًا متميزًا.

– يمكن رؤية استخدام السياب لعنصر المناخ كجزء من الرؤية الشعرية الشاملة التي يحاول من خلالها توصيل الصورة والمشهد بشكل متكامل، فلا يقتصر استخدامه على السمات الطقسية فقط، بل يتعداها ليشمل عناصر أخرى مثل الألوان والروائح والأصوات المرتبطة بالمناخ، مما يساهم في تعزيز تأثير القصيدة على المتلقي.

– يمكن ربط استخدام السياب لعناصر المناخ بالتجربة الشخصية والمشاعر الداخلية له، فقد وجد البحث أنّه يمكن رؤية تأثيرات المناخ على المزاج والحالة النفسية للسياب في قصائده، فعلى سبيل المثال، قد تكون الأجواء الباردة والمظلمة رمزاً للحزن واليأس، في حين يمكن أن يرمز الربيع إلى الأمل والفرح.

– إنَّ استخدام السياب لعناصر المناخ ليس مقتصراً على الاستهلالات فقط، بل يمتد أيضاً إلى الأجزاء الأخرى من القصائد، فقد يستخدم الصور الطبيعية والمشاهد البيئية المرتبطة بالمناخ في جميع أنحاء القصيدة لتعزيز المشاعر والأفكار التي يحاول توصيلها.

المصادر والمراجع

١. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين. (١٤١٤). **لسان العرب**. بيروت: دار صادر.

٢. الأحمد، خالد عواد. (٢٠١١). **عادات ومعتقدات في محافظة حمص**. دمشق: الهيئة العامة للكتاب.

٣. أرسطوطاليس، (١٩٨٠). **الخطابة**. ترجمة: عبدالرحمن بدوي. ط١. بغداد: وزارة الثقافة والإعلام.

٤. حمّور، محمد. (٢٠٠٦). **شهور العرب ومواقعها من الفصول الطبيعية**. بيروت: دار الكتب العلمية.

٥. الرازي، أبوعبدالله محمد بن بكر. (٢٠٠٥) **روضة الفصاحة**. تحقيق: خالد الجبر. ط١. د.م. دار وائل للنشر.

٦. السياب، بدر شاكر، (٢٠١٧). **أزهار وأساطير**. المملكة المتّحدة: مؤسسة هنداوي سي آي سي.

٧. القيرواني، ابن رشيق. (٢٠٠١). **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**. تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا. بيروت: دار الكتب العلمية.

٨. المرسومي، علي صليبي مجيد. (٢٠١٥). **القصيدة المركزة ووحدة التشكيل**. ط١. بيروت: المؤسسة الحديثة للكتاب.

٩. مفتاح، محمد. (١٩٩٠). **دينامية النص**. ط٢. بيروت: المركز الثقافي العربي.

١٠. النصير، ياسين. (٢٠٠٩). **الاستهلال "فن البدايات في النص الأدبي"**. دمشق: دار نينوى.

١١. الذيابي، البندري معيض عبد الكريم الشيخ. (١٤٣٤) الاستهلال في شعر غازي القصيبي مقاربة نسقية تحليلية. رسالة ماجيستير في الأدب والنقد. إشراف: ناصر يوسف إبراهيم جابر شبانة. كلية اللغة العربية. فرع الأدب والبلاغة والنقد. جامعة أم القرى-مكة المكرمة.

١٢. بلاوي، رسول وآخرون. (٢٠٢٠). «سيميائية العنونة ووظائفها الدلالية في ديوان «نوبات شعرية» لصالح الطائي». مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها. فصلية عليمة محكمة. العدد ٥٣. صص ٦٣-٨٠.

Dor: 20.1001.1.23456361.2020.15.53.4.3

١٣. خزاعل، قيس وآخرون. (٢٠١٩). «دلالة العنوان وبنية الاستهلال في شعر بدر شاكر السياب (ديوان شناشيل ابنة الشلبي أنموذجاً)». مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها. فصلية عليمة محكمة. العدد ٥١. صص ٤٣-٦٢.

Doi: 20.1001.1.23456361.2019.15.51.3.4

١٤. رشيد، شعلال. (٢٠١١). «شعرية الاستهلال عند عبدالله البردوني». مجلة كلية الآداب واللغات. جامعة قالمة-الجزائر. العدد ٨. صص ١١-٥٠.

١٥. طالبي قره قشلاقي، جمال. (٢٠٢٢م). «تجلّيات تصويف المكان في رواية جبل قاف لعبد الإله بن عرفة على ضوء آراء محيي الدين بن عربي». مجلة اللّغة العربية وآدابها. السنة الرابعة عشرة. العدد ١. صص ٩٣-١٠٩.

Doi:10.22067/jallv14.i1.2204

١٦. قرباني مادواني، زهرة وزهراء سليماني. (٢٠٢٣م). «تناسق العتبة والحبكة في رواية "بريد الليل" لهدى بركات دراسة تحليلية سيميائية». مجلة اللّغة العربية وآدابها. السنة الخامسة عشرة. العدد ١. صص ٣٧-٥٤.
Doi:10.22067/jallv14.i1.2204

Refrenses

Ibn Manẓūr, A. (1993). *Lisān al-ʿArab [The Tongue of the Arabs],* Vol. 11. Beirut: Dār Ṣādir. [In Arabic]

Al-Aḥmad, K. (2011). *ʿĀdāt wa-Muʿtaqadāt fī Muḥāfaẓat Ḥimṣ [Customs and Beliefs in Homs Governorate]*. Damascus: General Book Organization. [In Arabic]

Aristotle. (1980). *Al-Khiṭāba [Rhetoric]*. Trans. ʿAbd al-Raḥmān Badawī. 1st ed. Baghdad: Ministry of Culture and Information. [In Arabic]

Ḥammūr, M. (2006). *Shuhūr al-ʿArab wa-Mawāqiʿuhā min al-Fuṣūl al-Ṭabīʿiyya [Arab Months and Their Seasonal Positions]*. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya. [In Arabic]

Al-Rāzī, A. (2005). *Rawḍat al-Faṣāḥa [The Garden of Eloquence]*. Ed. Khālid al-Jabr. 1st ed. Amman: Dār Wāʾil lil-Nashr. [In Arabic]

Al-Sayyāb, B. (2017). *Azhār wa-Asāṭīr [Flowers and Legends]*. UK: Hindawi Foundation CIC. [In Arabic]

Al-Qayrawānī, I. (2001). *Al-ʿUmda fī Maḥāsin al-Shiʿr wa-Ādābihi [The Pillar on the Virtues of Poetry and Its Ethics]*, Vol. 1. Ed. Muḥammad ʿAbd al-Qādir Aḥmad ʿAṭā. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya. [In Arabic]

Al-Marsūmī, A. (2015). *Al-Qaṣīda al-Markaziyya wa-Waḥdat al-Tashkīl [The Centered Poem and Unity of Form]*. 1st ed. Beirut: Al-Muʾassasa al-Ḥadītha lil-Kitāb. [In Arabic]

Miftāḥ, M. (1990). *Dīnāmiyyat al-Naṣṣ [Text Dynamics]*. 2nd ed. Beirut: Al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabi. [In Arabic]

Al-Naṣṣīr, Y. (2009). *Al-Istihlāl: Fann al-Bidāyāt fī al-Naṣṣ al-Adabī [The Prelude: The Art of Beginnings in Literary Texts]*. Damascus: Dār Nīnawā. [In Arabic]

Al-Dhiyābī, A. (2012). *Al-Istihlāl fī Shiʿr Ghāzī al-Quṣaybī: Muqāraba Nasṣiyya Taḥlīliyya [The Prelude in Ghazi Al-Qusaibi's Poetry: A Textual Analytical Approach]. Master's Thesis in Literature and Criticism. Supervised by Nāṣir Yūsuf Ibrāhīm Jābir Shabāna*. Faculty of Arabic Language, Umm Al-Qurā University, Makkah. [In Arabic]

Balāwī, R. (2020). "Sīmiyāʾiyyat al-ʿUnwāna wa-Waẓāʾifuhā al-Dilāliyya fī Dīwān 'Nawbāt Shiʿriyya' li-Ṣāliḥ al-Ṭāʾī" [Semiotics of Titles and Their Semantic Functions in Ṣāliḥ al-Ṭāʾī's Poetic Seizures]. *Journal of the Iranian Association of Arabic Language and Literature* ,53, pp. 63–80. [In Arabic] Dor: 20.1001.1.23456361.2020.15.53.4.3

Khuẓāʿil, Q. (2019). "Dalālat al-ʿUnwān wa-Binyat al-Istihlāl fī Shiʿr Badr Shākir al-Sayyāb (Dīwān Shanāshīl Ibnat al-Chalabī Namūdhajan)" [Title Significance and Prelude Structure in Badr Shākir al-Sayyāb's Poetry]. *Journal of the Iranian Association of Arabic Language and Literature* ,51, pp. 43–62. [In Arabic]

Rashīd, S. (2011). "Shiʿriyyat al-Istihlāl ʿinda ʿAbdullāh al-Burdūnī" [The Poetics of Prelude in ʿAbdullāh al-Burdūnī's Work]. *Journal of the Faculty of Arts and Languages*, University of Guelma (Algeria), 8, 11–50. [In Arabic]

Qurbānī Mādwānī, Z & others. (2023). "Tanāsuq al-ʿAtaba wa-l-Ḥibka fī Riwāyat 'Barīd al-Layl' li-Hudá Barakāt: Dirāsa Taḥlīliyya Sīmiyāʾiyya" [Threshold-Plot Harmony in Hudá Barakāt's Night Post: A Semiotic Analysis]. *Journal of Arabic Language and Literature*, 15(1), pp. 37–54. [In Arabic] Doi:10.22067/jallv15.i1.2209-1191

Ṭālibī Qarah Qishlāqī, J. (2022). "Tajalliyāt Taṣwīf al-Makān fī Riwāyat Jabal Qāf li-ʿAbd al-Ilāh ibn ʿArafa ʿalā Ḍawʾ Ārāʾ Muḥyī al-Dīn ibn ʿArabī" [Spatial Classification in Jabal Qāf by ʿAbd al-Ilāh ibn ʿArafa]. *Journal of Arabic Language and Literature,* 14(1),. 93–109. [In Arabic] Doi:10.22067/jallv14.i1.2204